مصر ليست « سوقا » لبيع المبادىء
أما العراق ففيه « سوء » لفهم المبادىء !

ان مصر اكتوبر قادرة دائما على ان تعزل غيرها دون ان تنعزل عن اهدافها
ان مصر اكتوبر ردت لهم كرامتهم وهم منعزلون عن ساحة الكرامة ...
ان مصر اكتوبر ردت لهم كيان الوجود وهم معزولون عن كل وجود.
لقد تضخمت كثير من الخزائن بحصاد ارواح ابنائنا .

د . محمد اسماعيل على
مدرس القانون العام — جامعة الازهر

بهذه الكلمات الموجزة ، والمؤثرة ، استطاع الرئيس محمد انور السادات ان يلخص الموقف العربى ، لا منذ اكتوبر ٧٣ فحسب ، ولكن منذ يونيو ١٩٦٧ . وكانت هذه الكلمات المدوية ، امام ممثلى الشعب يوم ٤ نوفمبر تعبيرا صادقا عن كل الاحاسيس التى ملأت قلوب المصريين من ابناء الامة العربية ، منذ بدأ الصراع المسلح بين اسرائيل والعرب ..

لقد ظن المؤتمرون فى بغداد — خطأ — ان اربعة آلاف مليون دولار سنويا لمصر لمدة عشر سنوات هو مبلغ ضخم سوف يسيل له لعاب المصريين ، فيخرجون من نطاق السلام الى نطاق الكلام !!

وكان ظن المؤتمرين صادرا فى الاساس عن سوء تقدير سياسى من جهة وسوء فهم قومى من جهة اخرى ، فأصيبت سفقتهم بالفشل الذريع !!

وينبع سوء التقدير السياسى من انهم يظنون أن من السهل على دولة تحترم نفسها وتفى بالتزاماتها الدولية ، أن تضرب بكل ذلك عرض الحائط اذا ما عرض عليها مبلغ من المال .. لكن مصر بعراقتها الاصيلة ، وحضارتها العتيدة ، ومركزها الدولى الموثوق به ، لايمكن أن تبيع كل ذلك بأربعين الف مليون دولار لان العراقة والحضارة والثقة الدولية لاتوزن بالدينار أو بالريال أو الدرهم !!

● **وينبع سوء التقدير السياسى كذلك** ، من أنهم يظنون أن مسيرة السلام المصرية ، هى هروب من الاعباء ، وهى تخفف من المهام ، وهى فرار من الانفاق .. أو هى فى كل المعانى — لديهم — نتيجة للمتاعب الاقتصادية ... ولكنهم لم يستطيعوا أن يفرقوا بين السلام والاستسلام ، ولم يستطيعوا أن يدركوا الابعاد الحقيقية لحرب اكتوبر . فقبلها لم تكن مصر فى مركز يسمح لها بالتفاوض مع اسرائيل وهى تجثم على ضفاف مدن القناة ، تفاوض وتساوم بتهديد الاحتلال .. أما بعد ضرب السلف الاسرائيلى فى الصميم ، وكسح جحاف الغرور الصهيونى واصابة نظرية الامن الاسرائيلى القائمة على التوسع ، فان مصر اكتوبر ، المنتصرة ، والمزهوة بانتصارها ، تستطيع أن تفاوض على السلام فى مفاوضات الند للند ، لامفاوضات المهزوم مع المنتصر . ومن أجل ذلك كانت مسيرة السلام المصرية فى اهضاب سيناء اكتوبر ، ابتداء من اتفاقيات فض الاشتباك حتى كامب ديفيد ، تجرى فى اطار الرقبة فى السلام ، لا فى اطار الوقوع فى الاستسلام ..

● **أما سوء التقدير القومى فنابع من** أنهم لايدركون دور مصر الرائد فى مسيرة الوحدة العربية . فهى توجه ، ولا توجه ، وتقود ولا تقاد ، وتحمل على اكتافها دائما ، مصير الامة العربية ، لذلك كان الاولى بهم ان يتضامنوا مع مصر ، ويؤازروها فى خطواتها حتى يزداد ثقلها ، وحتى يزداد كسبها لصالح الامة العربية اكثر فاكثر ، فى تحاورها مع المفاوض الاسرائيلى . لكنهم تركوها تفاوض ، واطلقوا عليها النار من كل اتجاه يريدون أن يقتلوها ، لكنها استمرت صامدة ، تدافع عن سيادتها فى سيناء وتدافع عن حقوق الفلسطينيين

وكذلك ينبع سوء التقدير القومى من انهم اذا كانوا قد اختلفوا مع مصر فى منهاجها السلمى ، فليس معنى ذلك أن يملأوا الدنيا صراخا دون ان يفعلوا هم شيئا لهذه المشكلة المعقدة ...

وهل ينكر المؤتمرون فى بغداد ان عناصر القوة لديهم — ومنذ اكثر من عشر سنوات — كانت تستطيع ، ان تحقق للامة العربية كل أمانيها !! ..

آلاف البلايين من الدولارات البترولية ، كانت تملأ البنوك الاجنبية ، وتشترى القصور فى لندن ونيويورك ، واليخوت الخاصة والطائرات الخاصة وتزيد الاقتصاد الغربى المتضامن مع اسرائيل قوة ونشاطا وتزيد الاقتصاد المصرى وهنا على وهن !!

ان الفترة الزمنية من يونيو ٦٧ حتى نوفمبر ٧٧ ، كانت كفيلة بتحويل مصر الى دولة عظمى ، تستطيع ان تحاور بالسلاح وبالسلام ، بقوة ابنائها وشقيقاتها ، لو ان « التضامن العربى » كحد ادنى من الوحدة العربية قد اثمر ينعه فى وقوفه الى جانب مصر ... ولكن ...

ابن كان الاربعون الف مليون دولار يوم أهينت كرامة العرب فى ٥ يونيو !؟
ابن كان المال العربى ... والتضامن العربى !؟

واين كان الاربعون الف مليون دولار يوم بنس عبدالناصر من مباطلة الروس فى مده بالاسلحة الهجومية والدفاعية ...!؟ وطائرات اسرائيل تلقى سمومها وحقدها على بحر البقر وابى زعبل !؟ أين كان المال العربى ... والتعاون والتضامن العربى !؟

وأين كان الاربعون الف مليون دولار ، يوم منع الروس توريد السلاح « التعويضى » فى حرب اكتوبر ، ليتركوا مصر فريسة فى حرب ضروس ، ويجردوها من السلاح ، بعد أن ادركوا أن مصر سوف تنتصر ، وأن الصراع الاسرائيلى العربى سينتهى ... اين كان المال العربى ... والتضامن العربى !؟

يبدو أن « أحدا » قد اقنعهم بأن فى مصر « سوقا » لبيع المبادىء !! وانهم اقتنعوا بوجود هذه « السوق » فأرسلوا وفدا فى ٤ نوفمبر ١٩٧٨ ، لشراء مصر بمبلغ ٤٠ الف مليون دولار على عشرة أقساط ، كل قسط ٤ آلاف مليون دولار ، لتتحول الى حصان عربى يمتطونه فى الاحتفالات ... !!

ولكن ابن مصر البار انور السادات اقنعهم أن فى العراق « سوءا » لفهم المبادىء .. لان ارادة مصر لا تشترى ببلايين العالم ... ولان مصر هى التى ردت لهم كرامتهم وهم معزولون عن ساحة الكرامة ... ولان مصر هى التى ردت لهم كيان الوجود وهم معزولون عن كل وجود ... ففشلت الصفقة ونجحت الصفعة !!